**تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري، السنة الأولى ماستر حضري**

المحاضرة الثالثة

مقاربة Maurice Halbwachs للمرفولوجية الحضرية

العلاقة بين المضاربة العقارية ومخططات التهيئة الحضرية، الذاكرة الجماعية وعلاقتها بالاقامة...

**2 ـ مفهوم المورفولوجيا الاجتماعية:**

هالبواك يرى أن المورفولوجيا الاجتماعية هي القاعدة **المادية** للمجتمع. ومن ثم، **تتشكل** هذه القاعدة من **الأفراد** أو السكان. وبعد ذلك، يبين **طريقة** توزيعهم فوق الأرض، **وحجم** هذه الساكنة وسعتها **وكثافتها** وامتدادها، مع رصد جميع الأشياء التي **تتحكم** في العلاقات الاجتماعية.

ومن هنا، فالمورفولوجيا الاجتماعية، عند موريس هالبواك، عبارة عن **وحدات بنيوية مادية** تشكل الحياة المجتمعية الكلية. ومن ثم، **تعتمد** على المعطيات الفيزيائية المادية (الجغرافيا والهندسة)، والمعطيات الاقتصادية (الإنتاج، والتوزيع، والتبادل، والاستهلاك)، والأنشطة الإنسانية (الأفعال والممارسات الإنسانية). ومن هنا، فالمورفولوجيا الاجتماعية **عبارة** عن ظواهر مادية يتأسس عليها المجتمع. ومن ثم، فهي توزيع للساكنة فوق الأرض في مناطق، ومدن، وأحياء، إلخ. أي: توزيع جغرافي وديموغرافي أكثر مما هو توزيع حسب الجنس أو السن أو الجماعات الاجتماعية أو المؤسسات.

وينتهي إلى دراسة **العلاقة بين البناء الاجتماعي والبيئة الفيزيقية**، وخاصة الصورة المادية التي تميز البناء الاجتماعي لمجتمع معين في بيئة فيزيقية محددة، وفي ضوء نماذج التوزيع المكاني أو نماذج السكان والخدمات، والكثافة السكانية وغير ذلك.

3 ـ المضاربة العقارية ومخططات التهيئة الحضرية:

في أطروحتي القانون، في عام 1909، والمصادرات وسعر الأرض في باريس (1860-1900)، **يوضح هالبواك** أن الظاهرة التاريخية التي تبدو ذات صلة فقط بالنهج التقليدي المتمثل في دراسة قرارات السلطات والمخططين، هي في الواقع، وفقا لتعبيره. وبعيدا عن حقيقة أن إعادة تشكيل مركز باريس كان عمل القادة السياسيين، هوسمان والمضاربين، كما يعتقد عموما، فإن إعادة تشكيل المناطق الحضرية هذه كانت في الواقع نتيجة ضغط أعم وأبعد مدى من تحركات السكان. فالمصادرة وفتح الطرق الجديدة ليست آثار بعض القرارات التعسفية، ولكنها تظهر، من خلال احتياجات التداول المرتبطة بحركات السكان التي تكشف دراسة تحولاتها "المورفولوجية".

وبالمثل، في أطروحته عام 1912، حول الطبقة العاملة ومستوى المعيشة، **هالبواك يطور أطروحة أن توزيع الإنفاق** لا يمكن تفسيره من خلال مقدار دخل العمال وحده، ولكن يجب أن تؤخذ في الاعتبار العامل الأساسي الذي هو معيار حياة العامل وفي هذا المفهوم من مستوى المعيشة، هالبوش يتضمن العادات اليومية والتمثيل أن العمال جعل من السلع تعتبر الأكثر أهمية.

**وفي الناس والمسارات في باريس لمدة مئة** عام (1928)، يهتم هالبواك بالتفاعلات بين تحركات السكان وتحولات الأشكال الحضرية داخل باريس التي بالكاد خرجت من موجات كبيرة من التجديدات الهوسمانية. وبما يتعارض مع النهج السياسية التي كان، من شأن هذا الجهد التخطيطي العام داخل العاصمة أن يهدف إلى صد وتفريق المزيد والمزيد من تهديدات الطبقات العاملة خارج المناطق المركزية في باريس، فإنه يدل، ومن خلال دراسة دقيقة وشاملة. أن في كل شارع اختراق جديد يستجيب في الواقع للاحتياجات الموجودة مسبقا من حيث التجارة وتداولها فيما يتعلق بتهيئة المنطقة (مركز تسوق، قناة اتصال بين محورين نقل كثيفين وغير متصلين، واجهة بين حيين تكميليين من وجهة نظر مواردهما ...).

**ويقول بعد ذلك أنه بعد بلورة الأشكال المادية**، تتطور حسب ديناميتها الخاصة، وبهذا ذاته تقاوم التغير، وهكذا يفسر تكون المدن الكبيرة، فيجري تثبيت حدود المدينة، وتنظيم دخول النازحين إليها. ومع هذا فإن دور القوى الديموغرافية يفلت من المراقبة ويفسد كل حسابات المجالس والإدارات، وتأخذ المدن نسبا غير متوقعة، تحت تأثير جاذبية ليست مادية فقط، بل سيكولوجية.

**بالنسبة إلى هالبواكش**، فإن مصادرة المخططات (الدولة، البلدية) غير قادرة على التنبؤ، توقع، فرض أي شيء على التنمية الحضرية. فهي لا تخضع إلا لضغط مطالب السكان؛ بل هو حزام الإرسال. وهكذا لم تقرر السلطة السياسية، الملكية، الإمبراطورية أو الجمهورية. والتدابير التي اتخذها ليست كذلك. وذلك لإضفاء الطابع الشرعي على التعديلات التي تتم خارج المبادئ التوجيهية المقررة وإضفاء الطابع الرسمي عليها.

4 ـ الذاكرة الجماعية و علاقتها بالإقامة:

**في الذاكرة الجماعية** (1950)، يوضح هالبواش أن هذه الأشكال من بناء الهوية تدام في الذاكرة الجماعية، التي شيدت اجتماعيا وحافظت عليها من خلال وسائل الإعلام التقليدية المختلفة، وخاصة المادية والمكانية، مثل شكل الأحياء. (quartiers) ويبقى أن نفهم الأسباب التي أدت إلى ظهور التشكل في المناطق الحضرية بشكل خاص موضحا وجود هذه الاحتياجات العقارات المتباينة اجتماعيا.

**وتفسر الوقائع الاجتماعية** الحياة النفسية السابقة، والتصورات الاجتماعية التي وحدها تحدد لها معنى. وتقوم البواعث الفردية بنسج تغيرات لا شأن لها في مجال التصميم العام للجماعة، المتمثل بالاستمرار في الزمان والمكان. **والواقع أن أفكار الناس ومشاعرهم وتصرفاتهم** تتغير تبعا لكثافة وتكاثر العلاقات بيـنهم.

**في الطبقة العاملة ومستويات الحياة** (1913)، هالبواش طور نظرية أن الطبقات الاجتماعية تتوزع في الفضاء الاجتماعي الهرمي وفقا لمخطط (وسط – محيط) واعتمادا على موضوع عملهم. وتسعى الطبقة العاملة إلى سد فجوة التفاعل المتأصلة في عملها من خلال تطوير نوع من الاستهلاك أكثر توجها للعلاقات الاجتماعية (مباريات، اجتماعات في الحانات...) وأقل بالنسبة إلى الوضع الخاص.

**وبناء على ذلك، يضع موريس هالبواش** إطارا تحليليا متماسكا يجعل الطلب على المساكن وأسعارها تعبيرا عن ندرة واحتياجات يتم بناؤها ونشرها اجتماعيا، وترتبط بمورفولوجيا حضرية يكون ظهورها وإدامتها جزءا من تكوين المواقف الاجتماعية والعلاقات الطبقية.